

مقابر الجيش البريطاني في العراق ١٩١٤-١٩٥٨

♦ د. انعام مهدي على السلطان

حينما اندلعت الحرب العالمية الاولى (١٩١٤-١٩١٨) ووقفت الدولة العثمانية الى جانب دول الوسط (المانيا، النمسا - المجر) ضد دول الحلفاء (بريطانيا، روسيا القيصرية، فرنسا واطاليا)، تقدمت القوات البريطانية من جنوب العراق بهدف احتلاله وكانت مدفوعة بعوامل عديدة اهمها الحفاظ على مصالحها الاقتصادية التي اخذت تتزايد في العراق منذ نهاية القرن التاسع عشر واول القرن العشرين، فضلا عن اهميته الاستراتيجية كطريق مؤدى الى مستعمرتها الهند ورغبتها في حماية انابيب ومصافي النفط في عبادان التي كانت تمتلكها شركة النفط الانكلو فارسية (Englo-Persian Oil Com.). وكان من الطبيعي في ظل حرب ضروس ان يفقد البريطانيون عددا من افراد جيشهم، وخلال مدة وجودهم في العراق التي امتدت حتى عام ١٩٥٨ توفي عدد من القوات العاملة عسكريين ومدنيين، ولتعذر ارسال جثثهم الى بريطانيا او دول الكومنويلث حينذاك فقد اضطروا الى دفنهم في مواقع عديدة في العراق بلغت ثلاثة عشره موقعا دفن فيها (٥٤) الف من البريطانيين حسب الاحصائيات التي قدمتها السفارة البريطانية في العراق مؤخرا. على الرغم من اننا من خلال بحثنا نجد ان هذا الرقم مبالغ فيه اذ اننا اشرنا الى اكبر المقابر البريطانية في العراق وما عدا ذلك فهي مقابر قليلة العدد متناثرة هنا وهناك في اراضي العراق منها المقبرة التي تحاذي الطريق الرئيسي المؤدى الى منطقة المدائن القريبة من العاصمة بغداد التي تضم رفات عدد من الجنود البريطانيين ودول الكومنويلث الذين سقطوا جراء المعارك الحربية التي حدثت قرب المدائن حينما اقتربت القوات البريطانية من بغداد في تشرين الثاني عام ١٩١٥ لكن العثمانيين دعموا جيشهم باعداد اخرى ثم نفذوا الخطة التي وضعها لهم القائد الالماني فون دركولتز مما اجبر البريطانيين الى التراجع الى الكوت بعد ان تكبدت قواتهم خسائر فادحة بلغت (٤٥١١) قتيل حيث حوصروا هناك، كما سنرى لاحقا. كما توجد في منطقة السيسى، الواقعة ضمن محافظة الانبار والقريبة من قاعدة الحباينة الذي اتخذها البريطانيون قاعدة لهم بموجب معاهدة ١٩٣٠ المعقودة بين العراق وبريطانيا، مقبرة صغيرة دفن فيها عدد من العسكريين البريطانيين الذين قتلوا اثناء المعارك التي دارت بين الجيش العراقي والقوات البريطانية عام ١٩٤١ بعد اندلاع الحرب العراقية-البريطانية في ميسيس من ذلك العام.

♦ استاذ مساعد- كلية الاداب - جامعة بغداد .

ومهما يكن من الامر فقد اصبحت تلك المقابر على مر الزمن اثرا من الاثار التي تروى قصة الوجود البريطاني في العراق .

ونرى في هذا المجال ان نتطرق الى اشهر تلك المقابر وهي:

١- مقبرة الجيش البريطاني في البصرة: تقع مدينة البصرة جنوب العراق وتبعد عن العاصمة بغداد حوالي (٥٠٠) كم. تقع في المدينة مقبره للجيش البريطاني تحديدا في منطقة الحكيمية على مشارف شط العرب وعلى بعد ٢ كم من منطقة العشار يقسم المقبرة شارع رئيسي تمر منه وسائل النقل المختلفة زرعت على جانبيه اشجار الصفصاف. تضم المقبره رفات (٢٠٠٠) جندي وضابط بريطاني ما زالت احجار المرمر تحتفظ باسمائهم التي سلسلت حسب الحروف. وعلى الرغم من مرور ما يقارب من (٩٧) عاما على دفن الكثير منهم الا ان المقبره لا زالت تلقى الرعاية والاهتمام من قبل السفارة البريطانية في العراق، كما ان الجنود البريطانيين الذين تمركزوا في البصرة بعد الاحتلال عام ٢٠٠٣ كانوا يهتمون بالمقبره وزيارتها ووضع باقات من الزهور لاحياء ذكرى موتاهم. ومن خلال اطلعا نرى ان تلك القبور كانت لعسكريين لقوا حتفهم خلال المعارك التي دارت جنوب العراق ومن اشهرها معركة الشعبية التي وقعت في نيسان ١٩١٥ بين العشائر ورجال الدين العراقيين تحت قيادة القائد العثماني سليمان باشا عسكري والقوات البريطانية حيث تكبدت القوات البريطانية خسائر وكان انتصارهم بمثابة معجزة لكن رغم تلك الصعوبات فقد انتصر البريطانيون مما جعل القائد العثماني يقدم على الانتحار فكانت نهاية مأساوية لقائد شجاع.

٢- مقبرة الجيش البريطاني في العماره: تقع مدينة العماره في جنوب العراق وقد شيدت فيها مقبره بين عامي ١٩١٤-١٩٢٠ على مساحه تقدر ب(١٢) دونم وتضم رفات (٥٣٠٥) لجنود وضباط بريطانيين وهنود واستراليين منهم (٤٣٨٠) جثه معروفة الهويه، و(٩٢٥) جثه مجهولة الهويه. تقع المقبره على الضفه اليمنى لنهر الكحلاء وتحيط بها بساتين النخيل. وتضم المقبره كنيسه ثبت على جدرانها الواح عليها اسماء جميع القتلى وعناوينهم ورتبهم العسكريه وتاريخ وفاتهم. يقوم حارس عراقي معين من قبل لجنة المدافن الحربيه لدول الكومنويلث بالاهتمام بها.

٣- مقبرة الجيش البريطاني في الكوت: تبعد مدينة الكوت مركز محافظة واسط عن العاصمة بغداد (١٨٠) كم. في المدينة مقبره للجيش البريطاني تبلغ مساحتها (٢٠٠٠) م^٢ يحيطها سور يضم رسومات مختلفه، تضم المقبره رفات (٤٥٠) عسكريا بريطانيا قتلوا اثناء حصار الكوت، حيث نجحت القوات العثمانيه بمحاصرة القوات البريطانيه مدة ستة اشهر استمرت من كانون الاول ١٩١٥ حتى ٢٩ نيسان ١٩١٦ وكان هذا الحصار اكبر محنة واجهتها القوات البريطانيه خلال مسيرتها في احتلال العراق فقد

اضطرت القوات البريطانية الى اكل لحوم الكلاب والحمير . كما عمدوا الى خلع الشبابيك والاستحواذ على ما يقع بين ايديهم للتدفئة من البرد القارص الذي كان يواجههم . ثم حاول القائد البريطاني تشارلز طاونسند تقديم رشوة الى القائد العثماني خليل بيك . تقدر بمليونى ليرة عثمانية لفك الحصار عن القوات البريطانية لكن الاخير رفض رغم المبلغ المالى المغرى لذا اضطر البريطانيون الى الاستسلام بقيادة تشارلز طاونسند بقوات تقدر ١٣ الف مقاتل بعد ان هلك العديد منهم ، وبقيت عبارة طاونسند "نعلن الاستسلام" خالده على مر السنين.

وضع البريطانيون على مدخل المقبره قطعه من الرخام كتب عليها (kut war cemetery 1914- 1918) غير ان هذه المقبره اصابها الاهمال بعد ان تركها القائم عليها بسبب عدم دفع مستحقاته المالىه منذ عام ١٩٩١

٤- مقبرة الجيش البريطاني في بغداد : تقع هذه المقبره فى منطقة الوزيريه على الشارع العام المؤدى الى مجمع الكليات فى باب المعظم حيث يمر من امامها الالاف يوميا اما راجلين او متنقلين بالسيارات .تبلغ مساحة المقبره بحدود(١٠٠٠٠)الاف م٢، وهى مقسمه الى جزأين بأطر متناسقه يتوسطها قبر عال هو قبر الجنرال ستانلى مود القائد الذى دخل بغداد فى اذار ١٩١٧ وخاطب سكانها بقوله "جننا محررين لا فاتحين" .توفى مود بعد إصابته بالكوليرا . للمقبرة مدخل عال شيدت فوقه قبة كتب فى أعلى المدخل "بوابة مقبرة الجيش البريطاني" ومن هذه البوابة تدخل الجماين حيث تبدأ مراسيم الدفن التي غالبا ما يرافقها استعراض يحمل فيه النعش . ومع ان العديد من العسكريين البريطانيين ومن دول الكومنولث دفنوا في هذه المقبرة ، إلا انه من الملفت للنظر ان هناك بعض القبور كانت تعود لبعض القتلى الأتراك الذين كما يوحى الأمر أنهم قد تعاونوا مع القوات البريطانية حيث كتبت على قبورهم بعض الآيات القرآنية . لكن إعداد هذه القبور لا تتعدى أصابع اليد . ومع ان العديد من الجماين قد دفنت في المقبرة بعد احتلال بغداد عام ١٩١٧ إلا إن افتتاحها قد جرى في ثلاثينيات القرن العشرين ودفن فيها عدد من البريطانيين الذين سقطوا قتلى خلال سنوات الحرب العالمية الثانية.

وتبقى المس بل السكرتيرة الشرقية لدار الاعتماد التي توفيت فى العراق عام ١٩٢٦ عن عمر يناهز السابعة والخمسين عاما ودفنت فى كنيسة الأرمن الواقعة في منطقة الباب الشرقي إحدى مناطق بغداد العريقة إحدى أهم الشخصيات البريطانية التي دفنت في العراق .

الملاحق



مقبرة الجيش البريطاني في بغداد ويظهر قبر الجنرال مود ذو القبة البنية



بوابة مقبرة بغداد حيث تبدأ مراسم التشييع الرسمية



صورة أخرى للبوابة التي تبدأ من خلالها مراسم التشييع



قبر لجنود أتراك دفنوا في مقبرة الجيش البريطاني في بغداد



قبور الجنود الأتراك في مقبرة الجيش البريطاني في بغداد وقد كتب عليها
"لا اله إلا الله محمد رسول الله"



قبر المس بل في مقبرة الأرمن في الباب الشرقي في بغداد



قبر الجنرال مود يتوسط قبور القتلى البريطانيين



رئيسة المجلس الثقافي البريطاني في العراق في زيارة لمقبرة الجنود البريطانيين في مدينة البصرة

مصادر البحث:

١- إبراهيم خليل احمد وجعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر، الموصل ١٩٨٩،

٢- الانكليز يهملون أمواتهم في الكوت، شبكة الانترنت العالمية، الموقع الالكتروني الأتي: www.alsumarianews.com.

٣- جبار بجاي، مقبرة قتلى الانكليز في الكوت تصبح مكبا للنفايات وسوقا لبيع الدراجات، شبكة الانترنت العالمية، الموقع الالكتروني الأتي: <http://web.comhem.se/kut/English.htm>

٤- جعفر عباس حميدي، التطورات السياسية في العراق ١٩٤١-١٩٥٣، النجف الاشرف، ١٩٧٦،

٥- حسين المعاضيدي، مقابر المحتلين في العراق شواهد على أصالة شعب وهزيمة محتل، ٢٣/ حزيران/ ٢٠٠٩،

٦- عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، ط٣، بغداد، ١٩٦٧.

٧- عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج١، لبنان، ١٩٥٧.

٨- على ناصر حسين، الإدارة البريطانية في العراق ١٩١٤-١٩٢١ دراسة في تاريخ العراق الحديث، بغداد، ٢٠٠٨،

٩- محسن جبار العارضي، نافذة على التاريخ السياسي للعراق المعاصر من الاحتلال البريطاني الى الاحتلال الأمريكي ١٩١٧/٣/١١-٢٠٠٣/٤/٩، بغداد، ٢٠٠٥،

١٠- (٩٦) عاما على هزيمة القوات البريطانية في الكوت، شبكة الانترنت العالمية، موقع كتابات في الميزان.